المقدمة

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ الله، وبعد.

فالذاكرةُ آيةٌ من آيات الله، وسرٌّ من أسرار النفس البشرية التي أمرَنا الخالقُ ـ عزَّ وجلَّ ـ بالتفكُّر والتأمُّلِ في كُنهِها ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾.

إنَّ الذاكرةَ جهازٌ سريعٌ، يستعرضُ الإنسانُ من خلاله الكثيرَ من الأحداث التي مرَّت به، والعديدَ من المواقفِ التي تعرَّضَ لها.

ولقد دوّنتُ إبَّانَ عملي في وزارة المعارف، الكثيرَ من المواقفِ الجديرةِ بالعرضِ، والعديدَ من الأحداثِ الحريَّةِ بالتناولِ.

وقد آنَ لي بعدَ أن تفرَّغتُ من عَناء المسؤوليةِ أن أسجِّلَ تلكَ الجوانبَ، وأقطفَ تلكَ الخواطرَ، وأرجُو أن أكونَ كمَا قالَ الشاعرُ المتنبِّي:

قَطَفَ الرِّجالُ القَوْلَ وَقتَ نبَاتِه

وقَطَفْتَ أنتَ القَوْلَ لَمَّا نَوَّرَا

ولهذا فمادةُ هذا الكتاب قُطوفٌ من بَساتينِ التَّربيةِ، وذكرياتٌ من بَوْح الذاكرةِ، وفيضٌ من الأحداثِ التربويَّةِ، وأودُّ أن أكونَ من القاطِفين للقولِ لمَّا نوَّرَا.

إنَّه يستعيدُ صُوراً من المَيدان، ويعرضُ خبرةً دامَت أكثرَ من رُبع قَرن، ويَحكي مشاهدَ تربويةً

أَرويها للآخَرينَ؛ حيثُ مَرَّ بي في حَياتي الوظيفيَّة مواقفُ تستوجبُ التَّدوينَ، وتجاربُ تقتَضي التسجيلَ. ورأيتُ أهميةَ عَرض تلكَ الأمُور وإنْ كانَ الغائبُ أكثرَ، والمُهملُ أكبرَ، فمعَ زَحمَة العمَل نسيتُ أشياءَ، ومعَ ضَغط المراجعينَ غابَتْ أمورٌ، وإنِّي مُوردٌ في الصَّفحَات القَادمَة بعضَ المواقف التربويَّة، والأمُور الاجتماعيَّة التي ظلَّتْ عالقةً بالذَّاكرةِ، محفوظةً في بعضِ القُصاصاتِ.

وأرجُو أنْ يستفيدَ القارئُ ممَّا يجدُه، وخصوصاً أنَّها واقعيةٌ، عايشتُ أحداثَها، وكنتُ طَرفاً في أغلبِها.

إنَّها كمَا روَى أبُو حيَّان التَّوحيدي[١] من أنَّه قيلَ: «تجاربُ المتقدِّمينَ مَرَايَا المتأخِّرينَ، كمَا يُبْصَرُ فيها ما كانَ يُتَبَصَّرُ بهَا فيمَا سيكونُ. وقَد قالَ الشاعرُ:

والدَّهْرُ آخرُه شبْهٌ بأوَّلِه

ناسٌ كنَاسٍ وأيامٌ كأيَّامِ

وليسَ من حادثَة ماضيَة إلا وهيَ تُعرِّفُكَ الخطأَ والصَّوابَ منهَا؛ لتكونَ على أُهْبَة في أَخْذك وتَرْكك، وإقدَامكَ ونُكُولك وقَبْضك وبَسْطك، وهذَا وإنْ كانَ لا يَقي كُلَّ الوقَايةِ، فإنَّه لا يُلقِي في التَّهْلُكةِ كلَّ الإلقاءِ».

(١) الإمتاع والمؤانسة: ٣/ ١٥٠.

وهَذه المواقفُ تُصوِّرُ الواقعَ التَّعليميَّ، وتَحكي معاناةَ المَسؤول، وتُبرزُ بعضَ المَظاهر الاجتماعيَّة، والأحوالَ السُّلوكيةَ، وتعرضُ بعضَ الأمُور التي لا تخلُو من طُرفَة وتَسليَة، ولَقد تعلَّمتُ من خلالها أشياءَ كثيرةً، أرجُو أن يستفيدَ منها القارئُ.

وهَذه المواقفُ والصورُ التي أوردتُها جاءتْ في هَذا الكتَاب كحاطبِ ليلٍ، مُتنوعةً في مَواضيعها، مُختلفةً في تَواريخها، وسوفَ تكونُ في أكثرَ من جُزء إن شاءَ اللهُ.

هذَا وباللَّه التوفيقُ

د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الثنيان

الرياض١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م

obeikandl.com

١- ما هي صلاحياتك؟

تُكتَسبُ الخبرةُ الإداريةُ بالممَارسة والمزَاولة، ويتعلَّمُ الإنسانُ في كلِّ يَوم أمراً جَديداً، ويعرفُ في كلِّ نَهار دَرساً مُفيداً.

وحينَ عُيِّنتُ مُديراً للتَّعليم بالرِّياض وجدتُني فجأةً بينَ أعمَال متعدِّدة، ومعامَلات متنوِّعة.

واكتشفتُ أنَّ إدارةَ التَّعليم صورةٌ مصغَّرةٌ للوَزارة، بَل هيَ أكبرُ من بَعض الوَزارات القائمة؛ ففيهَا عددٌ كبيرٌ من الموظَّفين، وآلافٌ من المعلِّمين، ولَها أمورٌ فنيةٌ، وجوانبُ تربويةٌ، ومجالاتٌ إداريةٌ، ومشاكلُ اجتماعيةٌ، وقضايَا

للطُّلاب، وأُخرَى للمعلِّمين، وهيَ الميدانُ التنفيذيُّ والحقلُ التربويُّ المباشرُ، وهيَ الجهةُ المتعاملةُ معَ الجُمهور، في جانب مُهمٍّ من حياتهم الاجتماعيةِ، فلا أغلَى عندَ النَّاس من أبنَائهم.

وتتولَّى وزارةُ المعَارف الإشرافَ والتَّوجيهَ، والمتابعةَ والمراقبةَ، وتقومُ إمارةُ المَنطقة بالمُساهَمة في تَيسير الأمُور التَّعليميَّة، ودَعْم مُدير التَّعليم ومُساعَدته في تَنفيذ البَرَامج التربويَّة، ومعالَجة المشاكلِ التي قد تعترضُه.

وفي الأسْبوع الأوَّل من مُبَاشَرة العَمل ـ وكانَ في شَهر المحرَّم من سنةَ ألف وأَربَعمائَة

وواحد من الهجْرة، أيْ قبلَ تسْعةَ عشرَ عاماً من الآنَ ـ وجدتُ بينَ المعـامَلات قضيـةَ معلِّم دائرةً بين إمـارة مَنطقَـة الرِّياض وإدَارة التَّـعليم، ومعَ تلكَ المُعـامَلة مـذكِّـرةٌ صـغـيرةٌ من المُـستَـشـار القــانونيِّ في إدارَة التَّـعـليم ـ وكـانَ مــصـريَّ الجنسيَّة ـ يذكـرُ فيها أنَّ صاحـبَ السموِّ الملكيِّ، أميرَ منطقَة الرِّياض سلمانَ بنَ عَبد العَزيز، وجَّهَ باتِّخَاذ إجـرَاء إداريٍّ حولَ تلكَ المعـامَلة. ويرَى ذلكَ المستشارُ أنْ تَسألَ إدارةُ التَّعليم سموَّ الأَمير كيفَ وجَّه بذلكَ الإجرَاء؟ ومـا هيَ صلاحياتُه؟ ومَن فوَّضَـه؟ وقَد وافـقْتُ المستشـارَ علَى رأيه، ووجَّـهتُ بأنْ يُكتبَ خطابٌ لصَـاحب السـمـوِّ الملكيِّ نسألُه عَن صلاحيَّاته، ومَن فوَّضَه؟

وقَـد أرسلْنا الخطابَ، وكـانَ فـيـه جُـرأةٌ وعجلةٌ. وإنِّـي لأعجَبُ كيفَ أخطأتُ؟ ولـكنَّها الحياةُ، مدرسةٌ وتجاربُ.

وبعـدَ أنْ صـدرَ الخطابُ فكَّرتُ فـي الأمْـر وندمْتُ علَى تـسـرُّعي، وعـجـبتُ من جُـرأتي، وترقَّبتُ أنْ يردَ عتابٌ، وأنْ يصلَ تأنيبٌ.

ومضتْ أيامٌ وجيزةٌ وإذَا بي أجدُ بينَ الأوراَق جواباً من سموِّه، فيه رقَّةٌ وعظَمةٌ، ويحملُ درساً في التعامُل والـتَّوجيه. وكانَ الجـوابُ أنَّ سُموَّه اتَّخذ هَذا الإجراءَ بحُكم الولايَة العامة.

وقَد ظلَّ هذَا الموقفَ باقياً في الذِّهن، حَاضراً بالذَّاكرة؛ فقَـد كانَ الواجبُ أنْ يكونَ هذَا الأمرُ

مـعلومًـا لدَينـا، وإن كـانَ لا بدَّ من السُّـؤال فللسـؤالِ صيـاغـةٌ أُخرَى، ولكلِّ مـقـامٍ مقـالٌ، ولكنَّها الحَياةُ خبرةٌ ومعارفُ.

obeikandl.com